منظومة التحصينات العسكرية الحمادية الثابتة بين جهود تحصيل الوقاية ومطامح التوسّع والسيطرة.



د. بوقاعدة البشير
جامعة محمد لمين دباغين - سطيف2-

الملخص:

تعالج مادة هذا المقال بالدراسة والتحليل واقع منظومة التحصينات الحمادية الثابتة التي شيّدها بنو حماد للرفع من مستوى المردود الايجابي لمعاول الوقاية والمناعة الدفاعية، وتحصيل الأمن السياسي والعسكري للمجالات الخاضعة لسلطانهم على بساط المغرب الأوسط. مع ابراز مدى حسن أدائها للوظيفة الدفاعية، وقدرتها على تحسّس الخطر الأجنبي المحدق بالبلاد، وفعاليتها في منع فعل الاختراق والاخضاع. وذلك طبعا، مع دراسة أهمّ أنواع هذه التحصينات الثابتة، ومواضع غرسها عبر الإقليم الحمادي. وكذا التعريج بالدراسة على أبرز خصوصيات الهندسة المعمارية الكاشفة لقوة الحصانة وشدّة المناعة الدفاعية الوقائية.

Abstract:

The item of this article_ with study and analysis_ is dealing with the static Hammadi fortification system had been established by Hammadi tribes to enhance its positive output for the sake of defensive preservation, protection and procurement the political and military safety for fields under their rule. In addition to that it illustrates the efficiency of its defense job, feeling any foreign menace threatens the land and preventing any act of a breakthrough and subjugation. Moreover, it studies the main types of these constant fortifications with its placement's positions through Hammadi territory. Furthermore, it deals with the noticeable architectural characteristics that reveal the inviolability power and its defensive prevention.

Le résumé:

Cet article étudie et analyse la réalité des fortifications fixes bâties par Beni Hamad pour augmenter le niveau du rendement positif et les pics de protection et d'immunité défensive et pour acquérir la sureté politique et militaire aux domaines subis à l'autorité Hammadide au Maghreb central. Et mettre en relief la bonne performance à la fonction défensive et son pouvoir à tâtonner le danger étranger qui entoure le pays, ainsi l'efficacité d'empêcher l'acte de pénétration et de soumission hostile, avec une étude concernant les types importants des fortifications et les sites à travers le territoire Hammadide, ainsi on met en relief les particularités architecturales qui montrent la force d'immunité défensive.

مقدمة:

صارع الانسان منذ الأزل لبناء قاعدة دفاعية متينة تكفل حياةً آمنة لتشكيلات النسيج الاجتماعي و تقي عناصره شرّ الصنوف من العاديات التي تحيق بمحيطه وتتربّص بمجاليته، كما سعى في مقابل ذلك، سعيه الحثيث لإنتاج آليات تمهّد له الطريق لاختراق دفاعات الخصوم، وتُذلِّل صعاب تحقيق مطامح التوسّع والسيطرة وملامسة غايتها. فقاد هذا المسعى -آنئذ- بتوجُّهيه أو مساريه إلى حركيّة متوازية لتحقيق المسعيين في آن واحد بتوزيع الجهود بانتظام لإدارة مشاريع التوجّهين، وتفعيل منظومتهما، وتحيين مقوّماتهما أو تقوية معاولهما.

ولئن شكّل هذا الجهد بالنسبة لقيادة عسكرية معينة مسار سياسة وقائية دفاعية وآلية لتحقيق الطموح، فإنّ تعدّد القوى التي تحمل نفس المشروع، وتناسل معارك الصراع العسكري، وتعدّد مظاهره، وخصوبة أرضية مسبّباته، قد فسح الطريق على مصراعيه أمام حركة تنافسية شرسة بين تلك القيادات لبلوغ الريادة في مجال المنظومتين بتأمين الذات، وتحقيق الغلبة على الآخر دفاعا وهجوما.

تأسيسا على هذا الطرح بما يتضمّنه من جدلية الصراع على البقاء، و المنافسة على التفوّق وحيازة النصر دفاعا و هجوما، وتحقيق الأمن الوقائي، وزرع الرعب في قلوب الخصوم، تخمّرت في أذهاننا فكرة خوض غمار دراسة تضطلع بتشخيص واقع منظومة التحصين الدفاعي الوقائي التي أنتجها الفكر العسكري الحمادي، و قياس مدى قدرة حواسها على استشعار الخطر المحدق بالبلاد، ومستوى حسن أدائها لوظيفتها الدفاعية، والوقوف على جهود القيادة الحمادية لتحيين مناعة تلك الحواس وصياغة مشاريع وقائية أمنية، ثمّ تقييم الأداء الوظيفي لمقوّمات هذا الجهاز في تحصيل نتائج ايجابية؛ إن على مستوى الدفاع والوقاية أو إفشال الهجوم والاختراق، مع كشف النقاب عن طبيعة المشاريع الحربية الحمادية المسطورة تجسيدا لسياتها الحربية، و مدى تأثيرها على توجيه مسارات العملية التحصينية، وصياغة مظاهرها و تفصيلات أنماطها.

إنّ دراستنا لمضامين ثلة من الدراسات التاريخية التي أبحر أصحابها في بحث التنظيمات العسكرية ومطارحة اشكاليات أحداث الصراع الحربي وتفاصيل فنونه القتالية التي رسمت مشهد السياسة الحربية للقيادة السياسية والعسكرية الحمادية، قد كشفت لنا –دون ما مواربة– أنّ أسطع المشاهد الكاشفة لنشاط هذه القيادة العسكري والمترجِمة لسياستها العسكرية، هو ما أفصح عنه حرصها الدائم على تطوير الصناعة الحربية، والسباق للظفر بحظيرة سلاح ثريّة بصنوفه؛ كان في طليعتها السلاح الثابت أو منظومة العمارة التحصينية باعتبارها أقوى صنوف السلاح الثابت، وأنجع ضروب المناعة، وأنكى ألوان الدفاع ضد ضروب العدوان المحتملة ضدّها بشتّى ألوان الحرب وفي طليعتها حرب الحصار[1]؛ التي تعدّ أشدّ المعاول العسكرية لتحقيق طموح الاختراق و الاقتحام. وأنّ من أبرز العوامل التي حفّزتها على امتطاء جواد ذلك النهج، هو ما فرضه عليها راهن الأحداث السياسية و العسكرية التي أضحت بلاد المغرب تتخبّط بين أمشاجها من حين لآخر، وآفاق المشاريع الحربية المسطورة، و استشرافها لحجم التبعات الملقاة على عاتق الجهاز الدفاعي ضد الخصوم، وضخامة المقوّمات الطبيعية والصناعية المتاحة على غرار وفرة المادة الأولية، ومكوّنات الصناعة الاستخراجية المتشعّبة.

كما أنّ ملامسة عمق الحدث وسبر غوره، يقتضي منّا بسط أرضية قوامها جملة التساؤلات التي تكشف روح الاشكالية، وتُجلِّي جوهرها من قبيل: ما هي أهمّ أنماط التحصين الدفاعي التي ترجمت المشروع الوقائي والحسّ الأمني الحمادي؟ وإلى أيّ حدّ استجابت تلك الحواس الوقائية لحجم المسؤولية الملقاة على عاتقها؟ و ما مدى فلاحها في رسم سياسة الأمن والسلام الذي عاشت الرعية الحمادية بين أحضانه؟ وما حجم ذلك التفاوت بين اهتمامات القائمين على الدولة من قائد لآخر أو من أمير لغيره؟ وفي ما تجلّت ألوان المقوّمات التي خصّبت الأرضية لبناء منظومة تحصينية حمادية ذات معاول عاتية؟

والحق، أنّ الاجابة المبدئية على جوهر الاشكالية، تدفعنا للإشارة إلى عظيم الفائدة التي تنطوي عليها مظاهر التحصينات الثابتة؛ فهي عبارة عن أسلوب عسكري دفاعي لصدِّ الحروب –خصوصا حرب الحصار العسكري[2]– وتأمين الرعية، والحفاظ على ممتلكاتها، وتأمين حدود بلادها من مختلف الأخطار الأجنبية المحتملة[3].

وذلك بطبيعة الحال ما وعاه قادة الدولة الحمادية، وأخذوه بعين الاعتبار على عاتق تخطيط دفاعي بطريقة فنية محكمة وأسلوب عمراني متين؛ جسّدته سلسلة المنشآت الجاثمة في نقاط متعدّدة من بساطها، ومجموعة الموانع المشيّدة بالمناطق المناسبة على جغرافيته لأداء وظيفتها الحربية الدفاعية؛ إذ ثبّتوا بمناطق صعبة المرام حصونا عاتية، و بأخرى قلاعا منيعة، وفي مواضع أخرى أربطة حصينة.

وزُوِّدت هذه الأجهزة الوقائية بملحقات في غاية الأهمية بهدف إدراك تكاملية الوظيفة الأمنية[4]، و تحقيق غايتها، من قبيل: احاطتها بالأسوار العالية، وتدعيم هذه الأخيرة بألوان من أبراج المراقبة والرصد، ولنا في ما يأتي بيان ذلك وتفصيله:

1– الحصون:

تعدّ الحصون عنصرا مهمّا في حظيرة المنشآت الدفاعية المشيّدة، فهي السبيل الأنجع إلى جانب نظيراتها من مظاهر التحصين و الدفاع لتوفير الأمن والاستقرار للرعية التي تحتمي بها. والحصون عبارة عن مبانٍ حصينة تحيط بها الأسوار العالية والأبواب الضخمة المحكمة الاغلاق، ممّا يصعّب أمر اقتحامها على المُغيرين والأعداء.

لقد عنيت القيادة المغربية بغرسها وتثبيتها في مناطق عدة من بلاد المغرب، إذ راعوا في اختيار مواضع تشييدها عامل الملاءمة لتؤدي تلك المنشآت الوظائف الدفاعية المنوطة بها؛ حيث انتشرت هذه الحصون في المناطق الداخلية وعلى الثغور الساحلية، لاسيما في المناطق المرتفعة و الوعرة طلبا للسلامة و الحصانة[5].

أمّا للزيادة في عملية الحصانة، فقد زُوّدت هذا الحصون بالرماة لحراستها، وشدّوا عضدهم بألوان من الأسلحة الحربية الكفيلة بإفشال العمليات الهجومية التي يشنّها الأعداء، على غرار النشاب والأقواس؛ كقسي الزيار المنصوبة على الأبراج أو تلك المصنوعة من خشب السنديان، وهذه الأخيرة تعدّ من أشدّ القسي رميا و أعظمها جرما و أنكاها سهما[6].

ولو ألقينا نظرة بحثية موجزة على مدى الاهتمام الحمادي بهذا المجال من التحصينات الدفاعية، لوقفنا على أنّ الحماديين أقاموا إلى جانب التحصينات التي شيّدها أبناء عمومتهم من بني زيري بالمغرب الأدنى، حصونا في غاية المناعة والحصانة ببلاد المغرب الأوسط؛ ومنها: حصن البحر المُشيّد ببجاية الحمادية والمعروف اليوم بحصن سيدي عبد القادر؛ بحيث سمح موقعه الجغرافي بإشرافه على الساحل (شاطئ سيدي يحي) ونوعية مادة بناء أسواره التي كانت من الحجارة الكبيرة المتقنة القطع من مختلف الأحجام، بمراقبة فعّالة بالجهة الساحلية الغربية، كما كان يسمح بمراقبة واسعة لناحية الجبال المقابلة[7].

بالإضافة إلى حصن تاكلات؛ الذي يقع على مرتفع مطل على وادي بجاية أو واد الصومام[8]. و كذا حصن بكر المنفتح على مراعٍ واسعة من جهة و الوادي الكبير —الصومام– من جهة أخرى[9].

و ينضمّ إليها حصن سحاو الجاثم في أعالي جبال بجاية؛ بحيث ينطوي على أصعب مسالك الارتقاء إليه، وهو ما تنطق به أحداث الزحفة العربية الهلالية على مجالات المنطقة الحمادية–البجائية حيث عجزت هذه القبائل أن ترتقي سدّته وتخترق مجالاته[10].

هذا إلى جانب اضطلاع حصن تنس المنفتح على واجهة البحر بالجهة الغربية من العاصمة الحمادية، والذي كان عينا لا تنام ولا تغمض ترقب غارات النورمان شمالا، و تتطلّع لكشف مخطّطاتهم العدائية قبل أن يفتك خطرها بالبلاد[11].

في ذات المضمار، يذكر الباحث دومنيك فاليرين، بأن بجاية محمية بواسطة أربعة حصون واقعة في قلب المدينة وهي: القصبة، وقصر الكوكب، و قصر اللؤلؤة ، و حصن غالق للميناء من جهة الشرق (حصن سيدي عبد القادر حاليا)[12]. ثم يضيف أنّ لبجاية صورة معقدة من التحصينات بالجهة الغربية منها، خصوصا إذا أخذنا معطى ابن خلدون الذي كشف عن حصن أميمون الذي بناه المنصور. وبذلك تتشكّل سلسلة الحصون المدافعة عن جهة السهل من: القصبة، والنجمة، وأميمون. ويذهب فاليرين إلى حدّ اعتبار أنّ القصبة و قصر أميمون وقصر النجمة هي أسماء لحصن واحد على موضع برج موسى الحالي، الذي شكل مفتاح الدفاع عن المدينة[13].

ولا نشكّ في أن الوظيفة الرئيسة لهذه الحصون –المُدعّمة بها بجاية– هي مراقبة المجال والطرق؛ فهي حصون لحماية الساكنة من الأخطار أكثر من كونها حصونا ذات طبيعة أو وظيفة سياسية، كما أنّ منها ما يُشكل ملاجئ لحماية الرعية في حال أحاط بمجالها الخطر أو استشعروا ملامحه، وهو ما ينطق به مجالها في أماكن مرتفعة طبوغرافيا، بحيث

يصعب اختراق نطاقاتها. أمّا موضع بجاية المدينة، فعلى الرغم من حصانته الطبيعية فإنّ وظيفته تعتبر سياسية عسكرية حضارية، وليس الاقتصار على الطابع الحمائي-الوقائي.

من بين الحصون التي اضطلعت بالوظيفة الوقائية في شكل ملاجئ، ذلك الحصن الذي اتخذه أهل جيجل بموضع مرتفع من المدينة، يلوذون بالفرار إليه حين تتعرّض مدينتهم إلى الهجمات النورماندية، وينكفؤون إلى مدينتهم بزوال الخطر الأجنبي. و يحدّثنا في هذا المضمار عبد الرحمن الجيلالي عن حملة عسكرية قام بها الجنويز ضدّ مدينة بونة سنة 425هـ/ 1034م، انجلت بتدميرهم مرفأ المدينة وتخريب عمرانها، كما قام النورمان سنة 537هـ/1142م بهجوم على مدينة جيجل بقيادة أمير البحر جرجس الأنطاكي، فانتهبوها، وبالغوا في خرابها وإحراق دورها، و كان من بين ما عمد النورمانديون إلى إفساده و تخريبه، هو قصر النزهة؛ الّذي بناه الأمير الحمادي يحي بن العزيز[14].

ويتبدّى لنا، أنّ المجال الجغرافي الحمادي الذي شهد حركية عدائية نورماندية كان بالثغور الساحلية الشرقية للمغرب الأوسط، واستمرّ ذلك النشاط العدائي حتى سقوط دولة بني حماد، و انضواء الإقليم تحت سلطان دولة الموحدين.

على ضوء ما تمّ بسطه، نلمس مدى الحرص الحمادي على تقوية مناعة بجاية التحصينية- الدفاعية و صيانة مجالها من الأخطار الخارجية المحتملة باعتبارها عاصمة الدولة، ورغبتهم الملحة في التحكّم الجيد في المجال الحمادي على اعتبار أهميته الاستراتيجية. فإذا كان اتخاذ قلعة حصينة بجبل تاقربوست يكشف بجلاء عن توجّههم الحربي الذي صاحب مرحلة الاعداد والتخطيط للانفصال عن الكيان السياسي الصنهاجي الأم، فإنّ الأمر قد تعزّز بتضاعف الاهتمام أكثر ببناء بجاية لتفاعل الجهد الحمادي مع خصوصيات المستجدات السياسية والعسكرية بعدما أضحت الدولة الحمادية تلعب دورا رياديا في الاقليم، وبذلك كان لزاما على القائمين عليها تعزيز المنشآت الدفاعية لتكون إلى جانب الترسانة من الأسلحة الحربية التي امتلكوها لتغذية السياسة الحربية دفاعية كانت أو هجومية تلك التي اقتحموا معتركها.

وبعيدا عن الخوض في غمار كشف الأسباب الكامنة وراء بناء بجاية و اتخاذها عاصمة بديلة عن القلعة، ذلك أنّه حظي باهتمام بالغ من طرف الباحثين لكشف حقيقة تلك الأسباب و طبيعة التباين الذي اصطبغت به المادة الخبرية المصدرية التي بسطت مادته، فإنّ بناء بجاية في موضع حصين، يرغمنا للإشارة إلى عامل الظرفية السياسية- العسكرية التي عاشتها السلطة الحمادية عصرئذ في ظل النشاط العربي الهلالي التخريبي بمجالات بني حماد وبسائطهم، موازاة مع تنامي طموحاتهم التوسعية، ورغبتهم الجامحة في السيطرة على المجال البحري، لإدراكهم أهمية النشاط البحري في انعاش الحركية الاقتصادية، وتذليل الصعاب أمام تنفيذ مشاريعهم التوسعية. وعليه، كان الناصر بن علناس الحمادي على وعي كبير بالموقع الاستراتيجي الهام الذي تحوزه بجاية؛ لكونه يستجيب لطموحاته السياسية و الاقتصادية، ويعكس متطلبات المرحلة الراهنة و المستجدة، و بالتالي استغلال المجال عسكريا و اخضاعه جغرافيا، و كذا تأطير المجال على المستوى الاقتصادي والعمراني.

إنّ أبرز الاشارات التي تبعث بها منظومة الحصون المنبثّة في مجالات عدة من إقليم بني حماد و تنامي أعدادها، هي سيادة الطابع الحربي على سياسة الدولة و مشاريعها الرئيسة. كما تكشف هذه السلسلة الكثيفة من منشآتها عن يقظة القائمين

على الدولة، وسهرهم الدؤوب على تقوية حاسة الدفاع بشكل مستديم، وحسن استشعار نبضات العروق لاستكشاف الخطر الأجنبي، مع استشعاره قبل الاستفحال، واخماد ناره قبل اضمارها. وهو ما يكشف عنه بصدق مردودها الايجابي في امتصاص حجم الخطر الذي خيّم على الإقليم الحمادي على اثر الانتشار العربي الهلالي على بساط المغرب الأوسط، وتفاعل القيادة الحمادية ايجابيا مع الظرف العسكري المستجد؛ بحيث نجح الحماديون بفضل فاعلية تلك الأجهزة التحصينية أن يُجنّبوا حواضرهم الكبرى كبجاية عواقب النشاط الإفسادي الهلالي وتأثيراته السلبية، شأن ذلك الذي لم تنج منه المجالات الحمادية المفتوحة والمنبسطة كالمسيلة وطبنة[15].

وحرصا من بني حماد على تفعيل الدور الدفاعي لهذه الحصون و وصد الأبواب في وجه المتطاولين على الرعية الحمادية وزعزعة أمنها، وكبح جماح الثائرين على سلطانها، قاموا بتدعيمها ببناء العديد من الرباطات، بحيث تقدّمت تلك الحصون على شكل نقاط و مراكز تعينهم على رصد كل تحركات الأعداء و مخطّطاتهم، وذلك حتى تزيد من الفعالية الايجابية في مواجهة التحديات الجديدة التي عرفتها ساحتها السياسية و العسكرية، خصوصا بعد الهجرة العربية الهلالية إلى المنطقة و تزايد خطرها و ضررها بالبلاد -كما أسلفنا-، و اقتحام الوافد الجديد من الشمال المتمثل في نصارى النورمان دائرة الصراع بسواحل بلاد المغرب. و اختاروا لتلك الرباطات مواضع مناسبة للبناء و أداء المهمة. كما زوّدوها بأبراج المراقبة؛ حيث زرعوها على سبيل المثال عبر الطريق الرابط بين القلعة و بجاية، الذي يعدّ مسلكا رئيسا وهامّا، كيف لا، وهو يربط العاصمة الأولى بالثانية للدولة، بحيث انتشرت على مسار الطريق المار عبر مجال سوق الخميس وسوق الاثنين ودار ملول وغيرها من الحصون الحمادية المنبثّة بذلك المجال[16].

كما لا ينبغي تجاوز ذلك الحرص الحمادي على توفير شروط الراحة و متطلبات الأمن الغذائي أيام الرخاء من خلال بناء المخازن والأهراء داخل هذه الحصون، و حشرها بمختلف الأطعمة، لاستثمارها خصوصا أيام الشدّة إن تعرّضوا لفعل الحصار، ونحو ذلك من مظاهر الحرب التي تستغرق مُددا طوال، سواء تلك المشيّدة بحصون بجاية أو حصون القلعة أو المنبثّة على الطريق بينهما. مع حرصهم الكبير على رصد كافة الامكانات الحربية المتاحة لتفعيل الوظيفة الدفاعية، ودعم مشاريعها الحربية التوسّعية.

إنّ بناء منظومة دفاعية ثابتة ناجعة، يفرض على القائمين عليها أن لا يغفلوا باقي الشروط الوقائية التي وضعها المنظِّرون للحرب الدفاعية والهجومية في آن واحد و القادة العسكريون من ذوي الخبرة و الكفاءة في شكل نصائح تضمّنتها مصنّفاتهم العسكرية. لذلك لا بأس أن نعرّج على بعض النصائح التي تضمّنتها بطون بعض هذه المصادر التاريخية العسكرية التي بيّن مصنّفوها جملة من النصائح المرصوصة بالقواعد والفنون التي ينبغي أن يتّبعها القائد العسكري في حربه ومن زمرتها حرب حصار الحصون و القلاع و المدن العاتية؛ فصاحب مصنف «التذكرة الهروية في الحيل الحربية» حذّر من سَلَكَ سبيل الحصار يروم اقتحام الحصون و اخضاعها من النزول «على حصن يكون أكبر منه وأقوى من جيشه»[17]، لأنّ ذلك الفعل يحمل بين ضلوعه بوادر الفشل و الهزيمة. وليس ذلك فحسب، بل انّ التراجع بعد فشل الحصار والاصطدام الحربي المباشر بالعدو يعتبر

في حدّ ذاته عار و هزيمة، لأن معنويات الجنود تكون منهارة يائسة من تحقيق النصر ومذهولة من قوة حصن العدو الذي لم تصمد عند حصاره. وعلى العكس من ذلك، تزداد معنويات الخصم وترتفع عند ذاك الصدام، لأن عدوها فشل في الحصار، فتنمو ثقتهم بأنّ جموعه لامحالة أمامهم ستنهار. و يتبع «الهروي» نصيحته هذه الناهية عن مجابهة الحصن الحصين بتوضيح السبيل الأنجع للقائد المحنك لاقتحام الحصون المنيعة و الثغور الحصينة، والذي لا يكون إلا بعد استمالة قلوب أهلها، و جنودها، والمقدّمين بها من قادة وساسة وأصحاب الأمر والنهي، مع بذل كل الجهد في ذلك بدفع المال وسبيل الاغراء، أو بالحيلة و المكر والخديعة[18]. بالإضافة إلى معرفة أحوال أهله من حيث ادّخار الأقوات، و مصادر الماء الشروب، ونحو ذلك من المستلزمات الضرورية للحياة، فإن كانت قليلة ولا تسدّ حاجتهم إذا طال الحصار، كان القائد عندئذ ضامنا لنجاح حصاره، فيسارع وقتها لاغتنام الفرصة و نيل المراد.

يضيف المصنّف، أنّ من مستلزمات ضمان انجاح الحصار إلى جانب ما ذكرنا، أن لا يغفل القائد المحاصِر عن تأمين الفلاحين من أهل بلدة الحصن المحاصر، واستعطافهم حتى يكونوا سندا له، وعونا عندما يجعل من غلاّتهم موردا لتموين حاجات جيوشه و متطلباتهم من الغذاء و الماء و أعلاف الحيوانات، و نحو ذلك من أنواع الميرة. و هو إلى جانب ذلك، يزرع الرعب والخوف في قلوب أهل الحصن ويقذف فيها بذور الخيبة و الهزيمة حين يدركون أنّ أهلهم يميرون عسكر عدّوهم، فيفشلوا عن المقاومة و الصمود و تذهب ريحهم، و قد يدبّ الخلاف في جسم وحدتهم، فيزلزلها بين من يكاتب بمدّ يد العون شريطة أن يسلم هو و أهله، ومن يفرّ يروم النجاة بجلده. والقائد الفذّ هو من يستثمر ذلك الوضع المتضعضع لصالحه، فيمدّ الجسور إلى أولئك المتعاونين ليشاركوه تحقيق النصر على أهلهم بأقلّ الخسائر و أيسر الجهود[19].

وحسب «الهروي» أيضا، فإنّه لا يتمّ للقائد العسكري انجاح الحصار إلاّ إذا أحسن تموقعه عند الحصار، حين ينزل بعساكره من الجهة العالية على الحصن المشرفة عليه. و من هناك يحبس على عدوّه الميرة و يقطع عنه الماء و المدد، و يدسّ عيونه و جواسيسه ترصد له تحركات و أخبار العدو و تحصي عدده و عتاده، ويبحث عن مواضع الضعف و الوهن التي ينطوي عليها ذلك الحصن؛ فإذا استوفى ذلك، جلب لنفسه معينا على الحصار وطريقا لإنجاحه[20].

ولئن كان باديس بن المنصور الزيري قد تقيّد بهذه النصائح إلى حدّ كبير حين حاصر حماد بن بلكين بالقلعة سنة 406هـ /1014م طيلة مدة ستة أشهر؛ إذ جمع لذلك من العدة و العتاد ما يعينه على تحقيق الغلبة على أعدائه، فإنّ الأمير الحمادي المحصور قد استطاع هو الآخر التكيّف مع الوضع العسير الذي ألقى بتبعاته الحصار على بلاده، حيث تمكّن من تجاوز محنة الحصار وصمد طيلة مدّته، بفضل المنعة الطبيعية و الصناعية التي تنطوي عليها القلعة، وما حشره في مخازنها من الأطعمة الكفيلة بحفظ حياة أهلها تحت وطأته إن اتّسعت مدّة الحصار الزمنية على مساحة واسعة، وكان ذلك النشاط الاحتراسي من حماد قبل أن يعضّه الحصار الزيري بأنيابه القوية أثناء مرحلة الاستعداد لحرب الخصوم دفاعا وهجوما.

2- القلاع:

كانت القلاع هي الأخرى من مظاهر العمارة الحصينة التي بناها المغاربة بمجالهم للتحصين من هجمات العدو، و ضرباته المفاجئة،

وتحرشاته المحتملة. حيث أحيطت بعناية كبيرة من حيث شروط الحصانة و المناعة بداية باختيار المواضع المناسبة لبنائها، خصوصا في المناطق المرتفعة و المستندة للجبال و المرتفعات، و كذا من خلال ما يُلحقه القائمون على بنائها بها من تحصينات كالأسوار والأبراج والأبواب و نحوها من مظاهرها.

من المنشآت العمرانية الحصينة التي شيّدها الأمير الحمادي حماد بن بلكين (405 419-هـ/-1014 1028م) على بساط المغرب الأوسط -بعدما إذن له بذلك باديس بن المنصور- هي القلعة الحمادية الشهيرة المنيعة المستندة إلى جبل المعاضيد، وذلك سنة 398هـ/-1007 1008م. و ممّا زاد من حصانتها -إلى جانب الموضع الوعر الذي تفترشه- هي الأسوار التي أحاطها بها من كل نواحيها[21]؛ فالقلعة بناءً على ما أورده الرحالة الإدريسي و غيره من الجغرافيين «في سند جبل سامي العلو صعب الارتقاء و قد استدار سورها بجميع الجبل»[22].

ولعلّ رغبة حماد في تأسيس القلعة تنطق بلغة فصيحة عن مكنون نواياه الانفصالية التي تعرف مخاضا في عقله قبل أن تتهيأ الظروف لها لترى النور، و لا يقتصر الأمر -كما هو مدوّن في بطون المصادر- على أنّ باديس أذِنَ له بذلك لتكون القلعة نقطة مراقبة للقبائل الزناتية بذلك الإقليم[23]، إلى جانب الدور الدفاعي الهام الذي تقوم به مدينة أشير التي بناها زيري بن مناد الصنهاجي سنة 324هـ/ 935م في سند جبل التيطري المنيع على علو 1400 متر فوق مستوى سطح البحر، لكونها هي الأخرى قاعدة حصينة محاطة بالأسوار لدرء الأخطار الخارجية المحدقة بالدولة الزيرية والذود عن حياض القبيلة الصنهاجية[24]، خصوصا وأنّ موضعها عُدّ من أحصن مواقع مدن المغرب الأوسط و أعسرها على من رام حصارها؛ فأشير حسب الجغرافي البكري «بين جبال شامخة محيطة بها دائرة عليها»[25].

وبذلك يتجلّى لنا أنّ حماد بن بلكين قد استفاد من الأهمية البالغة التي ينطوي عليها موضع حصن أشير عند اختياره لموضع بناء القلعة الحمادية بإسنادها إلى جبل تاقربوست كما تستند أشير إلى جبل التيطري. و بذلك حيازة موضع حصين غير منفتح من كل جهاته يسهل تدعيم مناطقه المنفتحة بدروع تحصينية ثابتة تشدّ عضد الحصانة الطبيعية.

كما يُحيلنا للاعتقاد، أنّ طموح التوسّع و الرغبة في الانفتاح على مجالات جغرافية أخرى من جسم الكيان الزيري و ترسيم ملكيتها لصالحه، كان مادة فاعلة في ترسيم فكرة بناء قلعة حصينة موازية لأشير من طرف حماد بن بلكين.

وطبيعي أنّ تجسيد المشروع الانفصالي يقتضي تهيئة الأرضية المناسبة لاحتواء تبعاته و استكمال مسيرته، و كان الموقع الذي اختاره حماد خير من يُفصح عن هذا المسعى؛ فهو موقع استراتيجي هام، يُنبأ عن حيازته لموطن آمن كفيل باحتضان مشروعه المضمر.

أمّا ثمار هذا التوجّه، فقد جناها حماد بنجاته من مصيدة الحصار التي نصبها له خصمه باديس حين شرع في تجسيد مشروعه الانفصالي على أرض الواقع؛ إذ احتمى حماد بمناعة القلعة و قوة دفاعاتها، و ارتمى بين أحضانها، و استعصت هذه الأخيرة على قوات باديس المحاصِرة مدّة ستة أشهر في بحر عام 406هـ/ 1014م[26]) على الرغم من انهزام الجيش الحمادي في المواجهة العسكرية المكشوفة التي خاضها ضدّهم، حيث كانت القلعة الحمادية ملاذاً آمنا وقاهم شرّ ويلات الحصار، و ما يعقبه من أعمال سفك للدماء و

نهب للممتلكات، وسبي للأطفال و النساء.

وعليه، كانت القلعة الحمادية في غاية المنعة من الهجمات العسكرية المعادية التي يروم من أشرف عليها اقتحام الحصون والقلاع طيلة الفترة التي كانت تحتلّ خلالها مرتبة عاصمة الدولة؛ فإلى جانب تمنُّعها عن باديس بن المنصور الزيري وصمود تحصيناتها أمام قواته العسكرية، كانت القلعة الحمادية أيضا سدّا منيعا و حاجزا صلبا وقف في وجه الزحف العربي الهلالي نحوها بعد موقعة سبيبة سنة 457هـ /1065م، التي انهزم فيها الأمير الحمادي الناصر بن علناس، حين عجزت العرب عن اقتحام أسوارها و اكتفت بتخريب جنباتها بعدما فرضت حصارها عليها[27]. فكان للحصانة الطبيعية التي ينطوي عليها موضع القلعة و مناعة التحصينات التي ألحقها بها القائمون عليها، الفضل الكبير في الحفاظ على حياة السلطة الحمادية التي كادت تنهار لو نجحت العرب في اخضاع القلعة و اقتحامها بعدما حقّقت انتصارا باهرا على جيوش الناصر في الموقعة السالف ذكرها[28].

وحري بنا أن نشير في هذا المضمار، أنّ اتخاذ الحماديين القلعة جهازا دفاعيا بارزا لم يقتصر على فعل الانطواء بين أحضان خصائصه الدفاعية المنيعة، وإنّما شكل أيضا منطلقا لتجسيد المشروع التوسّعي المسطور، وملاذا آمنا في ذات الوقت إن اقتضى التكتيك الحربي ضرورة التراجع و الانسحاب، أو الاحتماء في حال الهزيمة و الانكسار، و هو ما لمسناه في مسيرة الحملة العسكرية الضخمة ضد أبناء العمومة سنة457هـ/1065م، التي أعدّ لها الناصر عدة هائلة يروم من خلالها الظفر بعاصمة ملك بني زيري المهدية و احتواء عرشهم ضمن مجال مملكته، غير أنّ الكسرة التي قسمت ظهر جيشه كادت أن تعصف بملكه لو لا المردود الايجابي لحصانة القلعة و مقوماتها الدفاعية حين لاذ فارا إليها. وهو ما يحيلنا للقول، أنّ خوض غمار الحرب التوسّعية يقتضي مراعاة تحيين حاسة الاحتراس بشكل فاعل و مستديم، و تنمية قدرات الأجهزة الدفاعية الثابتة و تنويع خصائصها، و ذلك لمجابهة ردود الفعل العدائية المحتملة مهما بلغت مستويات قوتها.

والحق، فإنّه وإن كانت القلعة الحمادية تمثّل أحد أكثر المدن الحمادية مناعة بموضعها وملحقاته التحصينية ثم بجاية في فترة لاحقة، فإنّ ذلك لا يعني اغفال الحماديين لباقي مجالاتهم، وإنّما ثبّتوا فيها أيضا مظاهر تحصينية منيعة، كما يفصح عنه نظام التحصين الذي اصطبغت به مجالات مدينة تنس، التي أورد البكري أنّ بها قلعة حصينة «صعبة المرتقى يسكنها العمال لحصانتها»[29]، وكذلك قلعة «مغيلة دلول» التي اعتلت جبلا شديد المنعة والحصانة في تنس؛ فعلى ضوء ما ذكر الحموي كانت مدينة تنس «مسورة حصينة داخلها قلعة صغيرة صعبة المرتقى... وعلى البحر حصن ذكر أهل تنس أنه كان القديم المعمور»[30].

وهو ما يُضفي –بشكل أكثر جلاء– على منظومة التحصين الحمادي طابع الشمولية، و التعدد الوظيفي، و التوزيع الاستراتيجي لمراكز زرع القلاع و تثبيتها، حتى تضطلع بمهمتها بشكل ايجابي و فاعل.

3– الرباطات[31]:

الرباط هو حصن يتجمّع فيه الجنود للدفاع عن المناطق المعرّضة لغارات الأساطيل و جيوش الأعداء، و يكون ملجأ يحتمي به أهل المناطق التي يداهمها ذلك العدو[32]. و قد نشطت حركة الاهتمام ببناء و اقامة الرباطات و المحارس أو الطلائع –كما تسمى أيضا– على شكل سلسلة انتشرت على طول الشريط الساحلي المغربي من الشرق إلى الغرب بالمواضع الحصينة التي تتناسب

و الأغراض التي أُقيمت من أجلها، و في طليعتها اتخاذها كقواعد عسكرية للحراسة و مراقبة تحركات الأعداء، مع شحن أبراجها بالأطعمة و الأشربة و الأسلحة، و كل ما يعين على أدائها لوظيفتها بفعالية كبيرة، كحفر الخنادق المحيطة بها[33]. و إلى جانب هذه الرباطات المشيّدة على السواحل، تمّ بناء مجموعة من الرباطات بالمناطق الداخلية لتكون دعما لصفّ الرباطات البحرية.

من الطبيعي أن تتّخذ الرباطات البحرية لمهمة الحراسة المستمرّة لمسيرة النشاط العدائي الخارجي، خاصة من الجهة الشرقية موطن الخطر المسيحي النورماندي، في الوقت الذي تُناط إلى الرباطات الداخلية مهمة تحسّس و استشعار الخطر الداخلي الذي تقوده الحركات والعناصر المناوئة للنظام الحاكم، بل وفي بعض الأحيان الأخرى حتى الاعتداءات الخارجية سيّما بالجهة الغربية ضد النشاط المرابطي الذي استفحل ضدّ مجالات بني حماد خلال العقود الثلاثة قبل نهاية القرن الخامس الهجري (11م)؛ وذلك قصد إخضاعها و منعها من التوغّل داخل مجالاتها.

لقد اهتدت القيادة الحمادية إلى أهمية بحث المواضع الملائمة لبنائها، فكانت تُبنى على حواف الطرق للربط بين المدن و الحواضر الكبرى(34). و لم يغفل القائمون عليها من تزويديها بملحقات من المباني على غرار الجباب المشيّدة بداخلها و المليئة بالمياه، والمصانع العظيمة، والأهراء لتخزين الطعام.

كما زوّد الحماديون رباطاتهم بالأبراج ذات العلائم النارية المثبّتة على المناطق المرتفعة، التي تضرم النار في أعلاها ليُستخدم نورها للاتصال بين الأبراج والمدن ليلا، آخذة شكل فنارات مربعة. و قد زودت بهذا اللون من العمارة الحربية أبراج القلعة الحمادية و كذا بجاية. ومن مظاهر هذه الرباطات التي اتخذها بنو حماد للوظيفة الحربية الدفاعية: رباطات شرشال، و رباط مغيلة؛ القريب من مدينة تنس[35]، ورباط ملالة؛ الواقع خارج مدينة بجاية، والذي استمرّ في ممارسة وظيفته الجهادية ضد النصارى إلى غاية العهد الموحدي خلال القرن السادس الهجري (12م) في فترة حكم عبد المؤمن بن علي كما أشار إليه النويري[36].

ولا نلجم أنفسنا عن القول في ظل امتلاك القيادة الحمادية لهذه الترسانة التحصينية من الرباطات، أنّها تمكنت من أن تؤدي وظيفتها الجهادية ضد نصارى النورمان على أحسن وجه، و تحافظ على حدود دولتها، خصوصا على امتداد مساحة النصف الثاني من القرن الخامس الهجري (11م). كما أنّها تمكّنت بواسطتها من إدارة فاعلة لنشاط حربي دفاعي و هجومي في آن واحد؛ فبالإضافة إلى ارهاب العدو بقوة التحصينات الجاثمة بالمواقع الحسّاسة، كانت كذلك منطلقا لشنّ العديد من الهجمات على مجالات الخصوم و المناوئين.

4- السور جهاز دفاعي متقدّم:

يعدّ السور أحد الأجهزة الوقائية الهامة في مجال العمارة العسكرية الدفاعية باعتباره أحد العناصر الداعمة لمظاهر التحصين الأخرى كالقلاع و الحصون و المدن لتلافي صنوف الخطر الناجمة عن هجمات الخصوم العسكرية. و تتحدّد مستويات النجاعة الوظيفية التي تضطلع بها تشكيلاته بناءً على حجم السمك المحدِّد لعرضه، و نسبة الارتفاع الكافي لملامسة فعل الغلبة، و الصمود أمام فعالية السلاح و مقدرته الهجومية([37].

من المزايا التي ينطوي عليها السور كقوة دفاعية متقدّمة أنّه يحتوي على دروب في

أعلاه يتّخذها الجنود المدافعون طريقا و ممشى لهم للقيام بمهام المراقبة الدورية بصفة منتظمة، أو شنّ العمليات الدفاعية-الهجومية حين التعرّض للاعتداء، كما تتخلّله شرفات تُشكِّل مواضع ملائمة للقيام بعملية الرمي بالسهام لصدّ الهجمات والفتك بالعدو المهاجِم، بالإضافة إلى دورات موزّعة بطريقة منتظمة يختفى وراءها الجنود المحاربون في شكل دروع واقية من ضربات الأعداء ورمياتهم المحتملة، بحيث تُشكِّل تلك الدورات كتلا قائمة في أشكال مخروطية، وتتخلّل جسم الدورة فتحات تمكِّن الجنود من رصد تحركات العدو في الأسفل دون أن يصيبه أيّ أذى منهم بسهم أو رمح و نحو ذلك[38] .

إنّ اعتماد ضخامة السور من حيث سعة عرضه و علو ارتفاعه كأحد المعايير المحدِّدة لمدى قوّته للصمود في وجه ضربات أسلحة الرمي الثقيلة كالمنجنيق والعرادة، والتمنّع أمام جهود الاختراق بواسطة معاول النقب و آلاته المرصودة في الحرب -خاصة حروب الحصار- من طرف رجال الدبّابة أو النقّابة وفعلة رأس الكبش لإحداث فتحات في جسم السور تُمكِّن من اختراقه، جعل القائمين على السياسة الدفاعية الحمادية يأخذونه بعين الاعتبار في أغلب ما شيّدوه من أسوار طوّقوا بها مدنهم، وكافة المنشآت الدفاعية خاصة تلك التي زرعوها في مناطق حسّاسة في شكل دفاعات متقدِّمة ومراكز كاشفة ونقاط مراقبة.

من أهمّ ما يُفصح عن ذلك، أنّ سور القلعة الحمادية -الذي يبلغ طوله 7 كلم، واستدار بالجبل المستندة إليه-، كان عرضه يتأرجح بين 120 و160 سم، وتسامى ارتفاعه إلى سقف ستة أمتار. ولا ينبغي أن يخفى علينا طبيعة الموقع الذي شُيِّدت به القلعة الحمادية لانطوائه على منعة وحصانة طبيعية هائلة[39]، وهو ما كشف عنه جلّ التصنيف المصدري الذي طرق تاريخ القلعة[40].

أمّا عرض سور مدينة بجاية فقد تراوح بين 170 و250 سم في الوقت الذي تأرجح ارتفاعه بين 4 و 6 أمتار[41])، مع وجود اختلاف في حجم الارتفاع من موقع لآخر حسب طبوغرافية الموقع وارتفاعه[42]. وقد أحاط سور بجاية المدينة تقريبا من كفة جهاتها بما في ذلك امتدادها على طول البحر، حيث امتدّ طوله على مسافة 5400م، بحيث سهر الناصر بن علناس الحمادي على بنائه خلافا للسور الروماني القديم حتى أتمّ تشييده في بضعة أشهر[43]، وقيل أنّه أخذ نفس مسار السور الروماني القديم بل واحتواه في الكثير من الأحيان، وزاد عنه في الناحية العليا للمدينة[44].

يرى فاليرين أنّ فترة بنائه تعود إلى بدايات الفترة الحمادية، في الوقت الذي يعتقد الجنرال دوباليي أنه لم يتم مواصلة بناء السور حتى أعالي جبل قوراية؛ لأن الانحدار كان كافيا للدفاع، أو أنّه أنشئ ولكن بأدوات بدائية، وبالتالي لم يبق له أثر اليوم. أمّا من الروايات التي تكشف أنّ السور لم يكن مستمرا في نهاية القرن 12م (6هـ) إلى أعلى المدينة لشدة انحدار الجبل أنّ بني غانية استولوا على المدينة لما صعدوا على جبل خليفة، ودخلوا من باب اللوز؛ والذي لم يكن في أعلاه سور، ومن هناك استولوا على القصبة[45]. وهو ما يوحي إلى غياب نقطة دفاعية بأعلى الجبل أو الجزء العلوي من المدينة[46].

يكشف الباحث في الآثار «عبد الكريم عزوق» أنّ السور بُني بطريقة تدريجية من القمّة إلى الأسفل، ولكنه يختفي أسفل جبل قوراية في الصخور الشديدة الانحدار[47]. كما يرى أنّ وجود السور في مختلف المناطق المحيطة بالمدينة البجائية، هو دليل حي على مدى اهتمام الحماديين بالجانب الدفاعي قبل غيره، «فكان -حسبه- تحديد الفضاء

العمراني وتأمينه هو الأساس في مدينة بجاية[48]. و نعتقد أنّ ذاك هو الأصل؛ فرسم ملامح المجال الآمن، ينبغي أن يتصدّر قائمة الجهود الرامية لبناء عاصمة دولة قوية اقتصاديا و عسكريا، و ملامسة حياة آمنة للرعية الحمادية.

وإذا رمنا قياس مدى نجاعة هذا اللون الدفاعي في صدّ هجمات الخصوم، فيطلعنا الرصد الخبري، أنّه بين ثنايا أحداث الصدام العسكري الحمادي الهلالي –على اثر وقعة سبيبة التي كانت الكاسرة بالنسبة للجيش الحمادي– صمد سور القلعة أمام محاولات اختراق القلعة التي انتصبت العناصر الهلالية لها، و حال دون رغبتها في اقتحام القلعة، فاكتفت عند ذاك العرب بتخريب بعض جنبات السور سنة 457هـ /1065م.

في جهد عسكري حمادي يُحيل إلى بالغ الحرص من لدن قيادة هذه الدولة على تفعيل الجهاز المناعي–الوقائي، تغمرنا النصوص المصدرية بفيض من الأحداث الكاشفة للعناية الفائقة و السهر الدائم على الاستكثار من المظاهر الدفاعية و تحيين مناعة منشآتها، و ترميم ما يتهدّم من أجزاء عناصرها في ظل النشاط الحربي الذي اصطبغت بها ساحتها العسكرية على نسق عمليات ترميم أسوار القلعة اثر مظاهر التخريب التي طالتها على يد العرب الهلالية بعد موقعة سبيبة –السالف ذكرها–، و غيرها من عمليات الترميم التي تشمل باقي أسوار المدن الحمادية الساحلية و الداخلية على غرار أسوار بجاية، تنس، بونةو المسيلة[49].

كان من سمات سياسة التحصين الدفاعي الذي ميّزت أنشطة قيادتها، أنّهم اعتمدوا أسلوب اتخاذ سورين متوازيين يحيطان بالمدينة الواحدة، وذلك طلبا لشدّة الحصانة و قمة المناعة، و ضرورة أملتها الطبيعة الجغرافية التي انطوى عليها موقع بعض المدن الحمادية المثبّتة بالمناطق المنبسطة[50]، على نسق ما تبرزه جهود تحصين أسوار مدينة المسيلة، فهي محاطة بسورين متوازيين لكون مجالها في بسيط من الأرض تفتقر إلى منعة طبيعية؛ و هو ما يفرض تكثيف الجهود لتدعيم تلك المنعة بمعاول صناعية[51].

و يعتقد أحد الباحثين الجزائريين أنّ مضاعفة التحصين على هذا النمط يرجع بشكل أكبر إلى طابعها المنبسط، أو باعتبارها البوابة الجنوبية الغربية للعاصمة القلعة، قصد صدّ خطر العدو الزناتي التقليدي من تلك الجهة[52]. وهو ما يكشف بجلاء، الرغبة الحمادية في تأمين مجالاتها التي تعوز إلى الحصانة الطبيعية الكافية، و إعادة النظر في المواضع التحصينية الواهية من خلال الاستحكامات الوقائية الصناعية الداعمة، وكان أسلوب مضاعفة الأسوار المحيطة بهذا الصنف الدفاعي أحد الخصائص العمرانية الحربية التي ترمي إلى وقف أيّ نشاط عدائي من تلك الجهة.

كما أنّه و للزيادة في قوة التحصين و شدّته، كانت أسوار المدن المغربية و قلاعها أو حصونها، تُدعّم بأسوار أمامية تتعدّى سورين –في بعض الأحيان– طلبا للأمن و تحصيلا للوقاية و المنعة؛ بحيث تخترق نسيجها: الأبواب لتسهيل حركة الداخلين و الخارجين عبرها، والاتصال بالمناطق الأخرى المجاورة لها، ناهيك عن أنّ هذه الأسوار كانت تُلحق أيضا بقلاع أو قصبات تُشيّد في أشدّ أجزائها ارتفاعا لتأمين المدينة في حالات الحرب و الغارة من أعلى المنطقة، و في غالب الأحيان كانت تلك القلاع تستند إلى جزء من سور المدينة حتى يسهل على الحامية المنوط بها مهمة دفع الخطر من تلك الجهة الفرار في الوقت المناسب إلى داخل المدينة حين تعجز عن صدّ الخطر الداهم، فتلجأ للداخل للاحتماء داخل الأسوار و الصمود أمام

هجمات الأعداء و ضرباتهم[53].

ولا نلجم عن القول آنئذ، أن فعالية هذه التحصينات الدفاعية الثابتة ينبغي أن تستند إلى جدار التحصينات الذاتية، تلك المتمثلة في متانة الروابط المعنوية بين القيادة و الرعية لتكون هذه الأخيرة حصنا متينا يدعّم الحصانة الطبيعية التي تحمي المدينة، حتى لا تتسلّل إلى جسم النسيج الاجتماعي مظاهر الخيانة، و يسهل بذلك الطريق أمام الخصم لاختراق النسيج التحصيني الصامت[54].

5- الأبراج:

في اطار الجهود الحمادية لملامسة حصانة صناعية قوية تضطلع بدورها منظومة التحصينات الثابتة، عمدت إلى تثبيت صنوف من الأبراج قصد وضع مجالها تحت المراقبة المستمرة أو تحت المجهر الكاشف؛ فتستشعر الخطر و هو لا يزال يُنسج في الخفاء أو تحت الظلام، بحيث لا تمر عليها شاردة أو واردة دون أن تتفحّصها وتكشف أمرها وتنظر فيه فتميز الفعل المشبوه من ضدّه، وذلك لتفادي سلوكات الغرة والمفاجأة.

بطبيعة الحال، كانت المواضع التي تؤدي هذه الأبراج وظيفتها بفعالية كبيرة إذا ما افترشتها، هي تلك التي اعتلت أسوار المدن والحصون و القلاع، أو المناطق المرتفعة، و من ذلك الأبراج المغروسة على أسوار القلعة كبرج المنار، و أسوار بجاية كبرج قوراية و برج المنارة[54]. كما اتخذت أشكالا هندسية متباينة بين البرج المستطيل و المستدير و المربع[55]، تماشيا و طبيعة البناء المثبت عليه البرج ووضعية السور، قصد حيازة مردود ايجابي لنوعية الوظيفة المناط إليها ذلك الجهاز الدفاعي المشيّد.

كما كان يُراعى عند بناء هذه الأبراج المُلحقة بالأسوار بطريقة منتظمة و دقيقة، عامل التناسق، مع الأخذ بعين الاعتبار نقاط الضعف والقوة التي ينطوي عليها السور و موضع اتخاذ البرج؛ فسور القلعة يحتوي على عدّة أبراج ناتئة على سطحه منها برج المنار، وهو ذو قاعدة مربعة يبلغ طول ضلعها 20 مترا، كما يحتوي على قاعتين سفلية وعلوية، ويُحيط بهما ممرّ الحراس، و توجد بأعلاه آلة بالمرايا[56].

كان سور بجاية أيضا، يضمّ مجموعة أبراج مستطيلة القواعد ناتئة به على مسافات معلومة ، بين البرج و الآخر حوالي 25 مترا، منها برج المنارة أو شوف الرياض المنفتح على الواجهة البحرية و على ثلاثة أبواب المدينة البجائية[57]، و برج بوليلة([58]. و يرى فاليرين، أن هذا الطراز التحصيني شبيه إلى حدّ كبير بطراز سور القلعة([59]).

وحتى يُؤدي الحراس والمدافعون عن المدينة أو الحصن وظيفتهم الحربية في صورة فاعلة، كان البرج يتّخذ مقاسات تفي بالغرض الدفاعي- الوقائي؛ إذ يبلغ طول البرج في البعض من مواضع أربعة أمتار أمّا عرضه فقد يزيد عن ثلاثة أمتار، في حين قد يربو مستوى الارتفاع والعلو عن ستة أمتار([60].

وهو تفصيل معماري دقيق يفصح عن دراية حمّادية عالية بفنّ التحصين، وآليات الدفاع في هذا اللون من الوقاية العسكرية. كما كان الحماديون يُتركون ممرات بين هذه الأبراج لتسهيل حركة الحراس و مرونة أداء مهامهم الدفاعية[61].

6- حفر الخنادق:

يعدّ هذا اللون من التحصين والدفاع من أهمّ الوسائل الحربية الدفاعية و الهجومية في الحرب قديما و حديثا، حيث كانت الجيوش المحاربة تحفر هذه الخنادق حول المناطق التي أحكمت

حصارها لتعيق حركة عناصر العدو المحصورة، و تقطع دابر الاتصال بالمناطق المحيطة بها، و تمنع عنها الامداد و كل مظاهر الاتصال بخارج دائرة الحصار. كما حُفرت الخنادق أيضا كإجراءات دفاعية لدفع أنواع الحصار المضروب على المدن و الحصون و حمايتها من الخلف أو من جهة المناطق الغير محصّنة طبيعيا و لا بالأسوار العاتية.

كما أنّه، أسلوب حربي، كثيرا ما عمدت إليه القيادة العسكرية لحماية عساكرهم في المواضع التي يعسكرون فيها خوفا من غدر العدو أو لجوئه إلى فعل المفاجأة و المباغتة، وذلك من خلال حفر الخنادق المحيطة بهم، تاركين أبوابا تتخلّله للمرور منها، بحيث تُشدّد عليها الحراسة . أو بحفرها حول المدن و الحصون لتكون سدّ منيعا يحول دون تقدّم القوات المحاصِرة لتلك المدينة أو الحصن؛ فتكون بمثابة حاجز وقائي-دفاعي ثاني يشدّ عضد الأسوار المنيعة التي تحميهما[62].

من مزايا حفر الخنادق في مجال الحرب الدفاعية لإفشال الحصار، أنّ هذه الخنادق المحفورة تعيق حركة الدبابات[63]، فهي تحول دون تقدمها، وان حاولت التقدّم تغوص عجلاتها في الخندق، فلا تخرج منه إلاّ بشق الأنفس ومجهود كبير من طرف الفعلة والمشرفين عليها، في الوقت الذي يكون رجالها حالئذ هدفا ثابتا للرجال المدافعين فوق الأسوار من الرماة بالسلاح الخفيف أو الثقيل للانقضاض عليهم و الفتك بهم[64].

لذلك، حرصت القيادة المغربية على تدعيم جيوشها و خططها الحربية بعمليات حفر الخنادق سواء خارج حصونهم في المعارك التي يخوضونها ضدّ الأعداء في ساحات المواجهات المكشوفة لتأمين أنفسهم من مكر العدو و افشال مخططاته و إعاقة حركته؛ فتكون خنادق ظرفية تنتهي وظيفتها مع حسم نتائج المعركة، أو حفرها إلى جوار مراكز تحصّنهم في جهة المناطق الواهية لدعم قدرتها الدفاعية، و إفشال أيّ عملية هجومية محتملة، و تكون المهمّة الدفاعية لهذه الخنادق المحفورة عندئذ دائمة و ليست ظرفية.

لقد كان سبيل الخندقة أسلوبا دفاعيا رئيسا ضمن منظومة التأمين و الوقاية الحمادية، و فنّا حربيا ناجعا إلى حدّ كبير في انجاح سياستهم الحربية شأن ما حدث في حصار الملك الزيري باديس للقلعة الحمادية، حين انجلت معاركه بالفشل و مات على أسوارها محاصِرا خصومه دون أن يذوق طعم النصر و لا يلامس فعل الاقتحام.

كما تدرّعت أغلب مدنهم و حصونهم بخنادق محفورة حول الأسوار المحيطة بها على غرار مدينة المسيلة، هذه الأخيرة التي توسّط خندقها السورين المتوازيين حولها، مع تمريرهم جداول الماء عبر الخندق المحفور، بما يمنع العدو من الوصول إلى هدفه إذا ما تخطّى السور الأول، و يجعل أمر تخطيه السور الثاني مهمة محفوفة بكثير من الخطورة. فشكّل عندئذ الخندق حاجزا فاصلا المدينة عن خارجها، خصوصا وأنّ المسيلة تقع في بسيط من الأرض مفتوحة على كل الجهات، كما زاد من حصانتها و قوتها الدفاعية[65]. كما أنّ مدينة بسكرة أحيطت هي الأخرى بخندق حصين[66]، و لازم كذلك الخندق المحفور مدينة سوق حمزة([67].

هذا، وقد استعان الحماديون بحفر الخنادق كذلك للتحصين و الدفاع و تأمين العساكر في ميادين المعارك و الحروب التي خاضوها وتحركاتهم العسكرية التي قاموا بها، فكلما أناخوا بمحلة إلاّ و خندقوا خشية مباغتة العدو في الليل، و إذا شعروا بأنّ عدّوهم خندق حول عسكرهم خندقوا هم أيضا حول خندقه ليشعروه بقوتهم و خطرهم

فييأس من فكّه و يلجأ للتسليم.

والملاحظ على السياسة الحربية الدفاعية التي اعتمدتها القيادة العسكرية الحمادية في مجال اتخاذ الخنادق سدودا دفاعية منيعة لصدّ هجمات الأعداء و افشال عمليات الحصار الحربية، أنّ المناطق التي استرعت انتباههم لحفر الخنادق بها، كانت أغلبها تلك التي أحاطت بأسوار المدن الواقعة في بسيط من الأرض أو ذات الموضع السهل المرام، على عكس المدن التي كانت مواضعها الطبيعية حصينة و وعرة على غرار القلعة الحمادية. و هو ما يؤكّد وعي هذه القيادة بفنّ التحصين الدفاعي العسكري، و خبرتهم بمجال الفنون الحربية، خاصة منها حرب الدفاع.

7- الحسك الشائك:

من وسائل الدفاع التي اتبعتها قيادة الدول المغربية في العصر الوسيط -ومنها الدولة الحمادية- لصدّ الاعتداءات الخارجية و إدارة معاركها ضدّ الخصوم بطريقة ايجابية دفاعا و هجوما، هي سلاح الحسك الشائك. و يقصد به: ذلك الحسك المصنوع من قطع الحديد ذات الشعب، بحيث تُطرح أمام المعسكرات لعرقلة حركة الخيول، مع ترك ممرات بينها يتعارف عليها الجنود المحاربون لتسهيل حركتهم. و إلى جانب الوظيفة الدفاعية لهذا النوع من السلاح، اتّخذته القيادة العسكرية المغربية في بعض معاركها كوسيلة حربية لتحصين الذات وفرض التماسك بين صفوف المحاربين في ميادين المعارك و ساحات القتال، ليُقاتلوا لُحمة واحدة، و صفّا مرصوصا، و قطع السبيل أمام أي محاولة للتراجع و الفرار(68).

الخاتمة :

من خلال دراستنا لجملة التحصينات الدفاعية التي حرصت القيادة الحمادية على تثبيتها في مجالها لمجابهة ألوان الخطر العسكري الذي طبع الساحة السياسية و العسكرية لبلاد المغرب الأوسط، خلصنا إلى جملة من النتائج، نلملم شملها في ما هو آت:

- شكّلت الحواضر الحمادية الكبرى، دروعا وقائية منيعة على غرار القلعة و بجاية. و كانت ملحقاتها التحصينية، أجهزة حيّة مستعدّة على الدوام للدفاع.

- تحتل الوظيفة العسكرية-الدفاعية المرتبة الأولى في منظومة التحصين التي أقامها بنو حماد في إقليم دولتهم، حتى و إن كانت المشاريع التوسيعية هي التي طغت على السياسة العسكرية الحمادية.

- يتجلّى لنا من خلال خريطة التحصينات الحمادية المنبثّة عبر المجال الحمادي، أنّ القيادة راعت تثبيتها و توزيعها ضمن المجال الساحلي و الداخلي، وذلك في شكل خطوط استراتيجية تمتد على المجالات الحساسة، خصوصا التي توقّعت أن يأتيها الخطر من جهتها، سواء الخطر الهلالي أو النورماندي أو الزيري أو الزناتي أو المرابطي، مع مراعاة قوة الخصم وحجم الخطر المحتمل، حتى يؤدي ذلك النظام التحصيني وظيفته بشكل فاعل.

- تعتبر هذه التحصينات الثابتة أسلحة دفاعية هامة تشدّ عضد القوات البشرية و باقي الأسلحة الهجومية المتحركة ثقيلة أو خفيفة.

- تشابهت المنشآت الدفاعية الحمادية -على اختلاف ألوانها- فيما بينها إلى حدّ كبير، خلال فترات حكم القيادات السياسية و العسكرية التي تعاقبت على حكم البلاد طيلة العهد الحمادي؛ وذلك من حيث الهندسة المعمارية، والمواضع المُلائمة للبناء، وكذا مادة البناء وطبيعته، وكل ما أُلحق بتلك المنشآت من تحسينات قصد الزيادة في مظاهر التحصين والقدرة الدفاعية، ولعل ما

أفصحت عنه مظاهر الحصانة التي انطوت عليها كل من القلعة و بجاية لأصدق برهان على ذلك.

– تكشف منظومة التحصين الحمادية عن مهارة المشرفين عليها في انتاج خطوط دفاعية منيعة تتماشى و الظرف العسكري الراهن، وتستجيب لطبيعة المشاريع العسكرية المضمرة و المعلنة و مستوى حجمها. و هو ما مكّنها في الغالب من الصمود أمام أغلب الهجمات التي تعرّض لها مجالها، وتنأى من سوء تبعاتها، وتُرهق الخصوم الذين رغبوا في اختراق إقليمها.

– ركن بنو حماد في مستهلّ عهدهم بحكم البلاد إلى حرب الدفاع و آثروها على حرب الصدام والمواجهة، لكن هذا التوجّه العسكري الحمادي أخذ منعرجا حاسما في النصف الثاني من القرن الخامس الهجري (11م) أين خاض أمراء بني حماد غمار حرب الهجوم لتنفيذ مشاريعهم التوسّعية، والذود عن حياضهم، و تأديب المتمردين و المتطاولين على سلطانهم.

الهوامش:

(1)- الحصار العسكري: هو عملية حربية تلجأ إليها القوى العسكرية لدخول أو اقتحام موضع حصين ومنيع سواء كان مدينة أو حصنا أو قلعة، وهو أنواع منها: الحصار الاقتصادي، والحصار العسكري المباشر البري، بالإضافة إلى الحصار البحري، للتوسع أكثر في دلالات اللفظ وأهمّ الصيغ التي ورد في ثوبها وما ساقه بشأنه أصحاب التصانيف اللغوية، أنظر: محمد بن أبي بكر الرازي، مختار الصحاح، اخراج دار المعاجم في مكتبة لبنان، بيروت، لبنان،1986، ص59، اسماعيل الجوهري، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق، أحمد عبد الغفور عطار، مج2، ط4، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان،1990، ص632، علي بن اسماعيل بن سيده،المحكم المحيط الأعظم في اللغة، تحقيق، عائشة عبد الرحمن، ج3، معهد المخطوطات بجامعة الدول العربية، مصر،1317هـ/ 1958، ص105، جمال الدين ابن منظور، لسان العرب، مج2، تح، عبد الله علي الكبير و آخرون، دار المعارف، القاهرة، مصر، ص 897، بطرس البستاني، محيط المحيط قاموس مطول للغة العربية، مكتبة لبنان، بيروت، لبنان ،1987، ص172.

(2)- لجأ النبي –صلى الله عليه وسلم- لاتباع أسلوب الحصار العسكري في حصار يهود بني قينقاع وبني النضير وبني قريظة وخيبر، وكذا في حصار الطائف، أنظر: ابن جماعة الحموي، مستند الأجناد في آلات الجهاد ومختصر في فضل الجهاد، تحقيق وشرح، أسامة ناصر النقشبندي،دار الوثائق للدراسات والطبع والنشر والتوزيع، دمشق، سوريا،1428هـ/2008م،ص84، ابن الأثير محمد،الكامل في التاريخ ، تحقيق، أبي الفدا عبد الله القاضي، ، مج2، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان،1407هـ 1987–م، ص33، النويري شهاب الدين، نهاية الإرب في فنون الأدب، تح، عبد المجيد ترجيني،،ج17، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان،

ص51.

(3)- ونشير في هذا السياق أنّ هذه التحصينات الدفاعية الثابتة تشدّ عضدها مجموعة الأسلحة الدفاعية الخفيفة والتي منها:الدروع: وهي عبارة عن قميص ينسج من حلق حديدية رفيعة متداخلة بعضها في بعض، وتوصل حلقاتها بمسامير بحيث تشبه الشبكة التي يلبسها رجال الفرسان فوق أكتافهم. وهي نوعان: دروع سابغة تغطي البدن بأكمامها حتى الأنامل وتمتدّ لتصل إلى نصف الساق، ويكون معها « المغفر» الذي يُغطي الوجه و «البيضة» التي تغطي الرأس. أمّا النوع الثاني، فهي الدروع البتراء التي لا أكمام لها، بحيث تُغطي الجندي لتصل حتى الركبة. ومن ملحقات الدروع: الخوذة، وهي مصنوعة في الأصل من الجلد أو المعدن أو من الزرد الذي ينسج منه الدروع وتلبس تحت القلنسوة، والبيضة وهي: الخوذة من الفولاذ أو الحديد المبطنة ببعض المواد الملينة كالقطن تلبس لوقاية الرأس، والأذرع، والسيقان، والأكف. أمّا الصنف الثاني من الأسلحة الخفيفة فهي الترس؛ التي تتمثّل في صفحة من الفولاذ مستديرة الشكل يحملها المقاتل في اليد ويتلقى بها ضربات السيوف أو السهام أو الرماح، ويصنع هذا السلاح من الخشب أو من الحديد.

(4)- بما في ذلك الأمن العسكري، الذي هو مجموعة الاجراءات والتدابير –فعل أو امتناع- التي تضع القيادة والقوات في مأمن من مباغتة العدو لها، وتسمح للقيادة بالحصول على الزمن الكافي لإعداد وتنظيم الصفوف ورسم الخطط الحربية الناجعة لإفشال الكمائن التي ينصبها العدو وتجنبا للوقوع في شباكه، والخروج لمجابهة العدو أو المرابطة داخل أسوار المدينة مع إعداد العدة الكافية للصمود من أسلحة ومؤونة، للتفصيل، أنظر: نهاد يوسف الثلاثيني: ''الأمن العسكري في السنة النبوية دراسة موضوعية تحليلية'' ، رسالة ماجستير، الجامعة الاسلامية، غزة، فلسطين، 1428هـ/ 2007م، ص10.

(5)- سالم أبو القاسم محمد غومة، تطور المؤسسة العسكرية في دولتي المرابطين والموحدين في الفترة من 451-668هـ /1059-1269م، رسالة ماجستير، في التاريخ، جامعة الفاتح، الجماهيرية العربية الليبية، 2003/ 2004، ص-45 46.

(6)- وفيق بركات، فن الحرب البحرية في التاريخ العربي الاسلامي، منشورات جامعة حلب معهد التراث العلمي العربي، جامعة حلب، سوريا،1416هـ/ 1995م، ص138.

(7)- عبد الكريم عزوق، المعالم الأثرية الاسلامية ببجاية ونواحيها (دراسة أثرية)، أطروحة دكتوراه دولة، الآثار الاسلامية، جامعة الجزائر، الجزائر، 2007- 2008، ص163.

(8)- الشريف الادريسي، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، ج1، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة،1414هـ/ 1994م، ص64.

(9)- الادريسي، المصدر السابق، ج1، ص 65، موسى هيصام، الجيش في العهد الحمادي (405-547هـ /1014-1152م)»، رسالة ماجستير، التاريخ الوسيط، كلية العلوم الانسانية، جامعة الجزائر، الجزائر، 2000- 2001، ص94.

(10)- الادريسي، المصدر السابق، ج1، ص92، هيصام، المرجع السابق، ص94.

(11)- هيصام، المرجع السابق، ص94.

(12)- دومنيك فاليرين، بجاية ميناء مغاربي، ترجمة، علاوة عمارة، ج1، منشورات المجلس الأعلى للغة العربية، الجزائر،2014، ص153.

(13)- عبد الرحمن ابن خلدون،العبر و ديوان المبتدأ و الخبر في تاريخ العرب و البربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، ضبطه، خليل شحادة، راجعه، سهيل زكار، ج6، دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع، بيروت، لبنان،1421هـ/ 2000م، ص232، فاليرين،

المرجع السابق، ص154.

(14)-أنظر: عبد الرحمن الجيلالي ، تاريخ الجزائر العام، ج1، دار الأمة للطباعة و النشر و التوزيع، الجزائر،2010، ص374-359.

(15)- انظر تفصيل ذلك عند، ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، 230.

(16)- هيصام، المرجع السابق، ص91.

(17) – علي بن أبي بكر الهروي، التذكرة الهروية في الحيل الحربية، مكتبة الثقافة الدينية، بور سعيد، مصر، ص23.

-(18)والخدعة الحربية هي علم وفنّ تخطيط مجموعة من الإجراءات المنسقة، وتنفيذها لإخفاء الحقائق، واقناع العدو وحلفائه بمفهوم غير حقيقي عن نوايا استخدام القوة وامكاناتها الحقيقية، وتقوده إلى اتخاذ القرارات الخاطئة، التي تؤدي إلى تهيئة الظروف المناسبة، لإعداد القوات المسلحة واستخدامها لتحقيق الأهداف العسكرية والسياسية. وقيل هي جزء من العلم العسكري الضروري في المعارك على المستوى التكتيكي والاستراتيجي. وهي فنّ التمويه، والاستتار عن الحقيقة، والقيام بأعمال تضليلية، لصرف العدو عن الاتجاهات والأمكنة والأعمال الأساسية. ولا يقتضي أن يكون بعد تدبّر ونظر وفكر حتى لا يعدّ حيلة حربية وليس خدعة. جمال أحمد سليمان أبو ريدة، الخدع العسكرية للمسلمين في صدر الاسلام (1 -132هـ/ 622- 749م) ، رسالة ماجستير، في التاريخ، الجامعة الاسلامية، غزة، فلسطين، ص09.

(19)- الهروي، المصدر السابق، ص24.

(20) -المصدر نفسه، ص24.

(21)ا- بن خلدون ، المصدر السابق، ج6، ص227.

(22)- الادريسي ، المصدر السابق، ج1، ص 255.

(23)- رشيد بورويبة،الدولة الحمادية تاريخها وحضارتها، ديوان المطبوعات الجامعية-المركز الوطني للدراسات التاريخية، الجزائر،1977، ص202.

(24) -بن النية رضا ، صنهاجة المغرب الأوسط من الفتح الاسلامي حتى عودة الفاطميين إلى مصر (80-362هـ /973-699م)، رسالة ماجستير، في التاريخ الوسيط، جامعة منتوري، قسنطينة، الجزائر، 14426-1427هـ /2006-2005م، ص48-44.

(25)- أبو عبيد الله البكري،المسالك والممالك، تح،جمال طلبة، مج2، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان،1424هـ/ 2003م،ص241، محمد البلنسي العبدري،الرحلة المغربية، تقديم و تعليق، سعد بوفلاقة، منشورات بونة للبحوث والدراسات، عنابة، الجزائر،1428هـ /2007م، ص4.

(26)- النويري شهاب الدين، نهاية الإرب في فنون الأدب ،ج24 ،تح، عبد المجيد ترجيني، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ص108.

(27) – ابن خلدون، المصدر السابق، ص27.

(28)- محمد ابن الأثير، الكامل في التاريخ ، صححه ، محمد الدقاق مج 8 ، ط4 ، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1424 هـ2003-م، ص372.

(29)- البكري، المصدر السابق، ج1، ص61.

(30)- ياقوت الحموي، معجم البلدان، مج2، دار صادر بيروت، لبنان،1397هـ/1977م، ص48، للمزيد انظر: هيصام، المرجع السابق، ص94.

(31)- تم بناء الرباطات بسواحل بلاد المغرب بعد الفتح الاسلامي لصدّ غارات الأعداء البزنطيين الذين كانوا يشنون هجمات عليها انطلاقا من صقلية. وبمرور الوقت أصبح للرباط هدف آخر بالمنطقة يضاف إلى الهدف الحربي والمتمثل في الهدف الديني، حيث نشأت كرد فعل ضد المذاهب الجديدة التي تختلف عن المذهب

السني كالمذهب الشيعي والخارجي ونحو ذلك، حيث فضّل عند ذاك الكثير اللجوء إلى الرباط خوفا على فساد عقيدته والانقطاع للعبادة وتلقين العلوم الشرعية، فاتخذ الرباط حينها منعرجا في الوظيفة التي كان يؤديها حين كان يؤوي الجنود المرابطين على الثغور وردّ الغزاة والمعتدين إلى ايواء المرابطين كذلك للجهاد وطلب العلم وتلقينه، للمزيد أنظر: فتحي زغروت،الجيوش الاسلامية و حركة التغيير في دولتي المرابطين و الموحدين، دار التوزيع و النشر الاسلامية، القاهرة، مصر،1426هـ/ 2005م، ص202.

(32)- بركات، المرجع السابق، ص118.

(33)- حول أهمية الرباط، أنظر: محمد حسن ، المدينة والبادية بإفريقية في العهد الحفصي،ج2، كلية العلوم الانسانية، جامعة تونس،1999، ص73، فرحات الدشراوي ،دور الرباط في الحرب البحرية أثناء العهد الوسيط، من كتاب أعمال ندوة تاريخ التحصينات بالبلاد التونسية أكتوبر 1999، نشر دائرة الاعلام والثقافة التونسية، تونس، 2001، ص40.

(34) - ناجي جلول، الرباطات البحرية بإفريقية في العصر الوسيط، مركز الدراسات و البحوث الاقتصادية و الاجتماعية، تونس،1999،ص130.

(35) - ابن سعيد المغربي،كتاب الجغرافيا، تحقيق و تعليق، إسماعيل العربي، المكتب التجاري للطباعة و النشر و التوزيع، بيروت، لبنان،1970، ص 144، هيصام، المرجع السابق، ص81-80.

(36)- النويري، المصدر السابق،ج24، ص168، هيصام، المرجع السابق، ص97.

(37)- أنظر: عبد العزيز لعرج، "العمران الإسلامي وعمارته السكنية: قيم دينية ودلالات اجتماعية"، مجلة حولية المؤرّخ، اتحاد المؤرّخين الجزائريين ، العدد 03-04، الجزائر،، (2003) ، ص 08.

(38)- زغروت، المرجع السابق، ص183، محمد عياش، الاستحكامات العسكرية المرينية من خلال مدينتي فاس الجديد والمنصورة بتلمسان (دراسة تاريخية وآثرية)، رسالة ماجستير ، الآثار الاسلامية، جامعة الجزائر، الجزائر، 2006-2005، ص29.

(39)- بورويبة، المرجع السابق، ص203، هيصام، المرجع السابق، ص91.

(40)- الادريسي، المصدر السابق، ص255، ابن خلدون، المصدر السابق، ص232.

(41) – بورويبة، المرجع السابق، ص202، انظر كذلك: فاليرين، المرجع السابق، ص143.

(42) – عزوق، المرجع السابق، ص152.

(43)- المرجع نفسه، ص152.

(44)ا- نظر: المرجع نفسه، ص152.

(45) - فاليرين، المرجع السابق، ص141.

(46)- فاليرين، المرجع السابق، ص141.

(47) – عزوق، المرجع السابق، ص152.

(48) - المرجع نفسه، ص153.

(49) –هيصام، المرجع السابق، ص92.

(50)- المرجع نفسه، ص92.

(51)- المرجع نفسه، ص92.

(52)- المرجع نفسه، ص92.

(53)- المرجع نفسه، ص92.

(54)- ويتعزّز هذا الطرح أكثر، حين نقف على ما أورده صاحب التذكرة الهروية، الذي أشار ناصحا القادة العسكريين على ضرورة التحلي بالحنكة والحيلة التي تمكّنهم من استمالة بعض العناصر البشرية من رعية الخصم خصوصا العناصر الفاعلة في مجتمعهم كالقادة، وذلك ببحث نقاط الضعف التي تنطوي عليها تحصيناتهم،

لأنّه باستمالتها وانحيازها إليهم تسهل عملية الاقتحام، ويصبح الطريق إليها مفروشا، الهروي، المصدر السابق، ص24.

(55)- بورويبة، المرجع السابق، ص202، هيصام، المرجع السابق، ص93، فاليرين، المرجع السابق، ص154.

(56)- بورويبة، المرجع السابق، ص203، هيصام، المرجع السابق، ص94.

(57)- بورويبة، المرجع السابق، ص203، هيصام، المرجع السابق، ص94.

(58)- بورويبة، المرجع السابق، ص202، هيصام، المرجع السابق، ص93.

(59)- وذلك بناء على رأي دوبيلي، انظر: فاليرين، المرجع السابق، ص143، وللمزيد انظر: عزوق، المرجع السابق، ص153.

(60)- بورويبة، المرجع السابق، ص202، هيصام، المرجع السابق، ص93.

(61)- هيصام، المرجع السابق، ص93.

(62)- الهروي، المصدر السابق، ص24.

(63)- هي قباب من الخشب أو شبه برج متحرك له أربعة أدوار، يتحرك على عجلات يجلس ضمنه الجنود المكلفون بمهاجمة الحصون والمدن والقلاع المحاصرة وتسلق أسوارها، فإذا ألصقوها بالسور عملوا من داخلها بمساعدة آلات الحفر الحديدية على نقض حجارته، حتى إذا فرغوا من عمل فجوة متسعة فيه، ثم أشعلوا فيها النار، وانسحبوا إلى الدبابة، فينهار السور مرة واحدة، تاركا ثغرة صالحة للاقتحام منها، أنظر: ابن أرنبغا الزردكاش،الأنيق في المنجانيق، حققه وقدم له، احسان هندي، دار الكتب الوطنية هيئة أبو ظبي للسياحة والثقافة، أبو ظبي، الامارات العربية المتحدة،1434هـ/ 2013م، ص69، محمود شيت خطاب، 1403هـ/1982م، العسكرية العربية الاسلامية عقيدة وتاريخا، وقادة وتراثا، ولغة وسلاحا، كتاب الأمة، قطر، ص-164 166.

(64)- زغروت، المرجع السابق، ص183.

(65)- ابن حماد الصنهاجي، أخبار ملوك بني عبيد و سيرتهم، تح، عبد الحليم عويس و التهامي نقرة، دار الصحوة للنشر و التوزيع، القاهرة، ص46.

(66)-هيصام، المرجع السابق، ص92.

(67)- وهي مدينة البويرة حاليا.

(68) - زغروت، المرجع السابق، ص186-184.